مجلة العلوم الإنسانية —— عدد 52 ديسمبر 2019، المجلدأ، ص.ص.175 -192

التقاطع المعرفي في اللسانيات العربية قراءة إبستمولوجية

Knowledge Interchange in Arabic Linguistics Epistemological reading

تاريخ الاستلام : 2019/06/15 ؛ تاريخ القبول : 2019/09/16

ملخص

تستهدف مادة هذا البحث رصد التقاطع المعرفي في اللسانيات العربية، و تتّبع عبور المفاهيم والمصطلحات من علم إلى آخر ، كما تبرز أن مثل هذا التداخل الموجود بين اللسانيات والعلوم المعاصرة له صورته في علوم اللسان العربي في فترة التدوين؛ فقد قامت هذه العلوم على معرفية مشتركة ترى أن كل بحث في النحو أو اللغة هو مسألة دلالية ينتظم فيها البعد المعرفي، واللغوي، والتواصلي، و الجمالي، ومعالجتها تأتي أولا من خلال ما تشترك فيه هذه المستويات.

الكلمات المفتاحية: كلمة مفتاحية ؛ كلمة مفتاحية ؛ كلمة مفتاحية ؛ كلمة مفتاحية ؛ كلمة مفتاحية

* د. عيسى مومني

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1

الجزائر

Abstract

The matter of this research focuses on the observation of the cognitive crossroad in Arabic linguistic and following up the way through concepts and notions from field to another, and highlight that such interference that exists between linguistic and contemporary science has its image in the Arab tongue Sciences in the period of registration.

These sciences are based on a common knowledge that considers that any study in the grammar or the language is a semantic matter, where the cognitive, communicative and aesthetic dimensions are organized, and their treatment comes through involving these levels.

Keywords: Language / epistemological / cross various disciplines of Arabic linguistics.

Résumé

Objectif de ce document vise la surveillance de près des connaissances qui se croisent dans la linguistique arabe et suit le passage des concepts et la terminologie d’une science à autre, ce qui confirme que la science du langue arabe au moment de son écriture était basée sur connaissance partagé d’autres sciences, cette vision prouve sue toute recherche dans la linguistique est une question sémantique, où s’organisent la dimension cognitive linguistique communicative est esthétique et traitées par ordre d’arrivée ce qui est commun.

Mots clés: Langage / épistémologie / transversal aux diverses disciplines de la linguistique arabe.

* Corresponding author, e-mail: aissa_24@yahoo.fr

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2019.

مقدّمة:

تأتي هذه المقاربة لفرز المبادئ الموحّدة، والتوقف عند اللحظات الحاسمة في تشكل العلوم والمعارف، والأخذ بتراتيب العلوم على درجات مختلفة ، وتفاعل العلوم بعضها مع بعض.

ومن ثم يحق أن نسأل ؛ هل هذا التداخل بين اللسانيات والعلوم المعاصرة هو مفهوم جديد لا تعرفه اللسانيات العربية أم أن صورته تظهر في التلازم بين العلوم التراثية الأصيلة الحاصل بين العربية وعلومها وتداخل آخر يتجلى في مستويات مختلفة أخرى ؟.

وهل اقتصر مثل هذا التقاطع على الجانب الإجرائي فقط الذي يقبل الاندماج في جملة مخصوصة من العلوم دون غيرها، أم امتد إلى الشكل الموسّع الذي يصير المبحث العلمي بمقتضاه قابلا للاندماج في أي علم من العلوم؟.

وإذا سلّمنا بجِدّة هذا الطرح فأين يمكن أن نضع جهود علماء العرب في التداخل الذي يتجلى في مستويات مختلفة لغوية، وكلامية، وفلسفية، وما امتازوا به من طابع موسوعي يستبعد التفسيرات الأحادية، ويعتمد منظومة متكاملة تتشابك فيها روابط موضوعية، ودلالية تنم عن تتعدّد مواهب رجل العلم عندهم بين الفلسفة، والمنطق، والتصوف، والكلام، والنحو، واللغة ، و الشعر والأدب، والفقه، والطب.. ؟.

وهذا ما يعرض له منجز هذه القراءة الابستمولوجية التي تتميّز بضوابط المعرفة الحديثة ، ويبرز ملامح التقاطع في اللسانيات العربية ، ومسالك العبور التي تطبع النظرة التراثية للمعرفة نموذجه مصنفات عربية مبنية على الاقتناع التام بتقارب العلوم وتشابهها من جهة قيامها على أصول معرفية موحدة ، وأخرى خارجية تتقاطع فيها جوانب لغوية وكلامية ، وفلسفية ، أو بين جوانب لغوية وحاسوبية .

أولا - القراءة الابستمولوجية:

إن ما يمكن أن نقرّ به في البداية هو أن كتب اللسانيات قد حسمت في مسألة المصطلحات من خلال الإشارة إلى "أن علم اللسان في مضمون التسمية مساويا تماما في ذاته لمصطلح اللسانيات فقالوا مثلا (Linguistique) لما يقتضيه لفظ إنه الدراسة العلمية للسان، فما زادت عباراتهم على ما دلت عليه الكلمة الأوروبية إلا فائدة الحصر والتوكيد" [(1)].

كما أكدت أن علوم اللسان العربي قد اتسعت واغتنى موضوعها ليدلّل على أن الظاهرة اللغوية ظاهرة مركبة ينتظم فيها أكثر من بعد معرفي : صوتي، وصرفي، وتركيبي، ومعجمي، تسمو فيه هذه المستويات إلى مستوى أعلى دلالي، وأسلوبي، وتداولي، يقول عنه فرديناند دي سوسير " إن نحن أردنا أن نكشف عن طبيعة اللغة الحقيقية ، وجب أن نعالجها أولا من خلال ما تشترك فيه جميع الأنظمة الأخرى التي هي من نفس الصنف" [(2)]. هذه صورة التقاطع الداخلي ، وقد يتوسع إلى تقاطع خارجي ؛ وهو الذي تناوله نعوم تشومسكي في أعماله مثل علاقة اللغة

بعلم النفس، وعلاقتها بالفلسفة والإبداع، وبتكنولوجيا المعرفة، فكان من تلاميذه مخترع البريد الإلكتروني" (3) ، ومثلها الرؤى الحاسوبية التي حاول بعضهم إسقاطها على أنظمة العربية قصد تطويع تقنيات الحاسوب لخدمة الدراسات العربية صوتا، وصرفا، ونحوا، ومعجما من خلال تصميم برنامج يوصّف للحاسوب المواد اللغوية توصيفا دقيقا .

يبدأ هذا العرض بتفحص العناصر المحددة للمعرفة لذلك انطلق من مصطلح ابستمولوجيا ، أي "العلوميا" على حد تعبير "محمد الأوزاعي" (4) ، أو فقه العلم بما يمثله من علاقة بين العناصر الشكلية والعناصر المضمونية بحيث يحد الإنسان من الشذوذ في الطبيعة بما يحققه من تشاكل متنام بين نظام الرموز ونظام المرموزات (5). ومن ثم التركيز على طبيعة، وأصل، وحيز المعرفة كما جاء في قاموس أكسفورد لمفهوم إبستمولوجيا " (6).

إن صورة هذه المعرفة في الدرس العربي أن "جلّ من تحدثوا عن هذا الفن باللسان العربي سمّوه علم المعرفة، أو عرّبوه فقالوا أبستمولوجيا، ومحتوى هذا العلم بارِزُ الوجود في التفكير العربي الإسلامي، وإن لم تتبلور شحناته الفلسفية على صعيد الاصطلاح، وكان التفكير العربي الإسلامي كلما نَضِج علم من العلوم أمامه عكف على دراسة أسسه، ومبادئه العامة دراسة نقدية، وكان كلما فعل ذلك أخذ اسم العلم وأضاف إليه كلمة "أصول" ، وهكذا كان ظهور أصول الفقه، وأصول الكلام، وأصول النحو". (7). ومن ثم فإن عملية الضبط في هذه القراءة تكون أكثر أمنا لأنها محكومة بمعادلة التركيز على طبيعة، وأصل، وحيز المعرفة.

ثانيا ـ ملامح التقاطع المعرفي بين العلوم النظرية والتطبيقية:

إذا عدنا إلى سلسلة الموسوعة اللغوية ، نجد مثل هذا التقاطع في المجلد الثاني من محتويات الكتاب، مثل : اللغويات النفسية، واللغويات العصبية، واللغويات (الأنتروبولوجية)، واللغويات الاجتماعية، واللغة والأدب، واللغة والحسابية ، والنتائج الهامة لاستخدام الحاسوب في الدراسات اللغوية، والترجمة، والتركيب الآلي للكلام ، ومساعدة الكتاب عن طريق أنظمة معالجة النصوص تكون في الغالب معها مدققات تهجئة، وبرامج تقييم الأسلوب. (8).

وبفضل هذا التقاطع المعرفي بين العلوم النظرية والتطبيقية جاء دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية (9) قائما على أساس التعاون بين اللسانيات وموضوعها العلم ، والحاسوب وموضوعه ترجمة اللغة إلى رموز رياضية يفهمها الحاسوب ، وهي دعوة للّساني كي يلمّ بكثير من العلوم" فمن لم يلم بالعلوم الحديثة والمنطق الرياضي كيف يمكن أن ينظر ويبحث في قسمة التراكيب الخاصة، ومن لم يدخل قط مخبرا صوتيا فكيف يجوز له أن يقول شيئاً عن أقوال الخليل؟ بل كيف يمكن لأي باحث في اللغة أن يكتشف أسرار اللغات من حيث بنيتها ومجاريها وقد يجهل الكثير من النظريات الحديثة في أحدث صورها؟ مثل اللسانيات الحاسوبية، وهندسة اللغة"(10).

وأبرز هذه الصورة تتضح في الأمر الجامع بين "تشومسكي" و"غاليلي" (1642 - 1564م) إنهما دشنا معا فترة جديدة في تاريخ البحث العلمي؛ الأول في

مجال اللغة، والثاني في مجال الفيزياء غير أن الأسلوب "الغاليلي" في البحث لم يبق أسير العلوم الطبيعية، بل أصبح أسلوباً متداولا في خريطة بعض العلوم الإنسانية، وخاصة اللسانيات، وقد كان ذلك بفضل نظرية تشومسكي (11). وبذلك تتداخل اللسانيات والعلوم المعاصرة ، فاللسانيات المعاصرة تنتمي إلى منظومة معرفية متشابكة تضم المنطق والرياضيات وعلم الأحياء والعلوم المعرفية.

ثالثا ـ مواصفات التقاطع المعرفي في اللسانيات العربية :

إن اللسانيات العربية قامت على معرفية مشتركة، و إنّ ما يجدر ذكره في هذه العجالة أن للقرآن والإسلام أثر في اللغة العربية، وإليه ترجع نشأة علوم اللغة العربية من نحو ، وصرف، ولغة، ومعجم، وبلاغة وأدب، وهو المقصود بالتلازم بين العربية وعلومها .

وقد شارك علماء العربية في علوم القرآن المختلفة، وكان بين علوم القرآن، وعلوم العربية ارتباط وثيق. وتراجم أعلام العربية تكشف عن مدى هذا الترابط، والتلازم .

وما انتهى إليه سيبويه في بحثه قديماً في العربية "توسَّل به المفسِّر حينئذٍ في بيان النص القرآني، والناقد في تحليل الخطابي الفني، والأصولي في استنباط الحكم الشرعي، والمنطقي في تحديد مقدمات القياس، والمتكلِّم في تخليص أصول الدين، والمربي في تلقين قواعد العربية، والبلاغي في الكشف عن الإعجاز القرآني" (12). كما شغلت القراءات أذهان النحاة؛ فالنحاة الأوائل الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قراء كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس، والخليل، ولعل اهتمامهم بهذه القراءات وجههم إلى الدراسة النحوية ليلائموا بين القراءات والعربية بين ما سمعوا ورووا من القراءات وبين ما سمعوا ورووا من كلام العرب(13). وبذلك وسعت مسألة القراءات الدائرة المرجعية للغة داخل دائرة اللغة العربية، وذلك فيما أصبح يسمى في المصطلح القرآني قراءات ، ويسمى في المصطلح اللغوي "لغات" (14).

ومن هنا عدّ القرآن الكريم الحجة الأولى لإثبات اللغة ، وتقرير قواعده، فجعله علماء الشريعة في المرتبة الأولى في التشريع، وأعلى من قياساتهم النحوية، فكان من ذلك ما يسمّونه الاحتجاج بالقراءات، ولها.

وتؤكد هذه المسألة أن الثقافة العربية قد ورثت التكامل الداخلي لمعارف التراث ، وهذا ما يبرز في تصانيف العلوم المتعددة (15). وهذه التصانيف تشي بالنتائج الآتية:

أ) ـ النشأة المشتركة من جهة قيامها على أصول معرفية موحدة .

ب) ـ النزعة التكاملية في التدليل .

ج) ـ تقارب العلوم وتشابهها.

د) ـ سير العلوم في إطار تراتبي استفاد من التراكم المعرفي الذي عبّده الأوائل .

تتم عملية الدمج بين علوم كثيرة في ربط محكم ينتقل من علم إلى آخر انتقالاً موفقاً أظهر أن هذه العلوم تتكامل في التدليل والاحتجاج، والتناسب، والاشتراك، وقد يجاب عن بعض بجواب بعض ؛ قال ابن جني : في رواية عن أبي علي الفارسي ، قال: سألني سائل قديما فقال: هل يجوز الخَرْم في أول أجزاء "متفاعلن" من الكامل؟ قال

ولم أكن حينئذ أعرف مذهب العَروضيين فيه فعدلت به إلى طريق الإعراب، فقلت لا يجوز. فقال لِمَ لا يجوز؟ فقلت لأن "التاء" بعد "الميم" قد يدركها السكون في بعض الأحوال فيكره الابتداء بحرف قد يكون في بعض أحواله ساكنا في ذلك المثال بعينه كما كرهت العرب الابتداء بالهمزة المخففة ، لأنها قد قربت من الساكن. أفلا ترى إلى تناسب هذا العلم واشتراك
أجزائه حتى أنه ليجاب عن بعضه بجواب غيره [16].

وكان الأوائل يقيسون المسألة على طريقة مذهب العربية، سُئل الفراء ما تقول في رجل سها في سجدتي السهو؟ . قال قسنُه على مذاهبنا في العربية ، وذلك أنّ المصغّر لا يصغّر ، وكذلك لا يلتفت إلى السهو في السهو فسكَت [17].

ويشهد لهذه النتائج مقولة ابن حزم في رسالة مراتب العلوم أن "العلوم كلها متعلق بعضها ببعض ومحتاج بعضها إلى بعض" ورؤية الغزالي في ميزان العمل "إن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا بعضها طريق إلى بعض، والمُوفق مراعي ذلك الترتيب" [18]. كما يشهد لها مجال علوم اللسان عند ابن خلدون الذي لم يقصر على النحو، واللغة بل ضم إليهما علم البيان، وعلم الأدب، وبذلك لم يفصل بين علوم اللغة بمعناها المحدّد والدراسة الأدبية[19].

وفي هذا إقرار بمشروعية تفاعل العلوم بعضها مع بعض حيث نعثر فيها على تفاعل المباحث الكلامية مع المباحث اللغوية، والبلاغية، والفلسفية. كما تتفاعل المباحث المنطقية مع المباحث اللغوية والأصولية إلى حد اعتبار علم الأصول الذي أنشأته الحضارة الإسلامية إنشاء يكاد أن يكون مجرد مزيج من أبواب نظرية ومنهجية، وأخرى علمية مستمدة من علوم مستقلة بنفسها[20].

وتبرز صورة هذا التفاعل للقارئ في "امتزاج مصطلحات العلم الواحد بمصطلحات غيره من العلوم إلى حد أن تبدو بعض الإشكالات المعرفية التي يولدها هذا العلم كما كانت تنتسب إلى الإشكالات المعرفية التي تدخل في علم غيره، وشاهدها على ذلك ما نجده من اختلاط التصورات الفلسفية بالمفاهيم الكلامية، واختلاطها بالمعاني الصوفية، ومن امتزاج مصطلحات الجدل بمصطلحات جل العلوم الإسلامية مثل الفقه، وعلم الكلام، والنحو، والبلاغة... ولم يقف هذا التفاعل عند حدود انتقال علوم الآلة إلى علوم المقاصد، بل تعدى إلى انتقال علوم المقاصد ذاتها إلى علوم الآلة كتخريج الآلة النحوية على مقتضى أحكام التصوف" [21] . ونقف على صورة هذا التمازج عند علماء التفسير في الربط بين الأسس اللسانية ربطا محكما، والانتقال من علم إلى آخر انتقالا موفقا. وقراءة في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور تكشف إقراره بمبدأ تمازج الاختصاصات في تناول القضية اللغوية لا سيما بين علوم اللسان من جهة، وعلم الاجتماع، وعلم اللهجات، وجَلْب خواص كتب الأصول إلى ميدان التفسير والارتقاء بها إلى مستوى التداول من جهة أخرى ، وقراءة سريعة في المقدّمة الثانية بعنوان في استمداد علم التفسير نجد فيه دعوة "لاستمداد علم التفسير للمفسر من المجموع الملتئم من علم العربية وعلم الآثار، ومن أخبار العرب، وأصول الفقه، قيل وعلم الكلام، وعلم القراءات" [22].

ومن ثم أوجد هذا التقاطع المعرفي في الممارسة اللسانية العربية تراتباً وتفاعلاً ، وعملا موسوعيا يأخذ بمجامع علوم كثيرة تظهر في العمل الموسوعي لدى الجاحظ

الذي يكاد يحيط بثقافة عصر بأكمله ، أو بثقافة أبي حيان التوحيدي وطريقة تفننه في علوم كثيرة.

وقد لا يقتصر هذا التقاطع على الجانب الداخلي الذي تتفاعل فيه علوم العربية بعضها مع بعض ،

بل امتد إلى تفاعل خارجي يتعلق بجملة العلوم الإسلامية مع غيرها من العلوم المنقولة "كأن نتتبع آليات التداخل عند الفارابي ، ولو أن هذا التداخل يتجلى في مستويات مختلفة من فكره، مستويات لغوية، وكلامية، وفلسفية.... و امتزاج التصورات الفلسفية بالأفكار الكلامية ، والمعاني الصوفية عند ابن سينا... كما جاء إنتاج ابن رشد في الإلهيات مجالا نلمح فيه مبدأ التداخل المعرفي(23).

وتتلخص هذه التقاطعات كالآتي:

1- لقد سخّر علماء العربية دراساتهم للصوت العربي لخدمة القرآن، وقراءاته ، لهذا نجد سيبويه بعد الحديث عن حروف العربية ربط درس الحروف بأحكام القراءة، والتجويد، وجعل نموذجها العالي هو صوت القرّاء الذين أخذوا قراءتهم مشافهة (24).

كما حاول بعض علماء اللغة "أن يصوغ شكلا نظريا لعلم أصول النحو وفق علم أصول الفقه، ويكفي أن نذكّر في هذا المجال بعمل حاز مكانة عالية إنه كتاب "سر صناعة الإعراب" لأبي الفتح عثمان ابن جني (ت 392 هـ)، وتابعه فيه أبو البركات الأنباري (ت 577 هـ)، والسيوطي (ت911هـ) ولكن هذا الشكل لم يكن كافيا لبناء نظرية متكاملة"(25).

2 - ومن مظاهر التلازم بين علوم القرآن وعلوم العربية دراسة ألفاظ القرآن ؛ وهو ميدان برزت فيه صلةُ علوم اللغة بعلوم القرآن. و إن تحديد "دلالات الألفاظ تحديداً دقيقا يعتبر الخطوة الأولى والأهم في فهم المعاني وتفسيرها، وذلك يتوقف على معرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي يظن فيها الترادف، وبما أن هذا الموضوع لغوي في أصوله، وأساسه، وللأصوليين مشاركة جادة في دراسته نظرا لأثاره الكبيرة على تفسير القرآن ، وفهم آياته (26).

ومثل هذه الدراسات تظهر لأول وهلة أنها دروس لغوية غير أن علاقة الدراسات اللغوية بالقرآن علاقة كبيرة (27).

3- إذا كانت معاني القرآن مصدرا من مصادر التفسير، فقد كان لعلماء العربية الجهد البارز في هذا الشأن يؤكد التقاطع المعرفي بين علوم العربية وعلم التفسير . وهو ما نجده في معاني القرآن للأخفش (ت 215 هـ) ، ومعاني القرآن للفراء (207 هـ)، وفي دراسة حروف المعاني من خلال مؤلفاتهم النحوية، كما فعل ابن هشام (ت 761 هـ) في كتابه مغني اللبيب.

4- يبرز هذا التقاطع أيضا في الفاصلة القرآنية إذ إن بحث الفاصلة واكب العلوم الإسلامية والعربية منذ نشأتها، لا سيما علم البلاغة قبل أن تتشقق الفروع، وتستقرّ المصطلحات، وكان على رأس المهتمين ببحوث الفاصلة بحسب التسلسل الزماني (28).

أ) ـ علماء الكلام بما فيهم المعتزلة والأشاعرة، ومن مؤلفاتهم : النُكت في إعجاز القرآن للرُّماني المعتزلي، وإعجاز القرآن للباقلاني الأشعري.
ب) ـ اللغويون : من رجال النحو على وجه الخصوص ، على شاكلة ما نقرأ عند الفراء في معاني
القرآن ، وهو رجل نحوي. ومجاز القرآن لأبي عبيدة، وهو من أئمة العلم بالأدب واللغة.
ج) ـ المفسرون، وجماعة علوم القرآن: ومن تفاسير المفسرين، وعلوم القرآن " البرهان في علوم القرآن" للزركشي، و"الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي. ومن تصانيف البلاغة "سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.
كما استخدمت الفاصلة في عدد من علوم العربية ، نجدها في النحو [29]، والعروض، وفي علوم القرآن في أواخر الآيات، كما يقول القاضي أبوبكر " حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني" [30].
وبهذا يكون موضوع الفاصلة دُرس في مختلف الكتب التي وضعت في علوم القرآن، وعلوم اللغة العربية، ومنها كتب الإعجاز، وعلوم البلاغة، وذهبت بعض الدراسات إلى أن أصل الموشحات الأندلسية يتصل سببه بفواصل القرآن[31].
ويضاف لها: فنّ التأليف في وقوف القرآن ، وابتداءاته، وهو شديد الارتباط بالدرس اللّغوي لأنه يتّصل بالمعنى المراد، أو بالصفة اللفظية، والأدب، والحُكم النحوي، وقد تتوقف عليه أحكام شرعية، وذكر ابن عاشور في المقدّمة الثامنة من تفسيره التحرير والتنوير أن أشهر من تصدى لضبط الوقوف أبو محمد بن الأنباري (ت328) ، وأبو جعفر بن النحاس(ت 338 هـ). واشتهر بالمغرب من المتأخرين محمد بن أبي جمعة الهبطي[32].
5- إن من مظاهر إسهام العربية في علم القراءات أن كتب التفسير لم تخلو من آراء في القراءة احتجاجا و قبولا، وردا، وربطا بالرسم، والرأي النحوي بغرض البحث عن الثراء في المعنى، وربط كل حدّ بسوابقه في شكل متتالية لبيان المعنى وإتمامه ، والاستدلال بقراءة على بيان مصرف معناها ، وإفادة بعض الفرائد الدالة على نهاية البلاغة وكمال الإعجاز كما ذهب إليه ابن الجزري في "النّشر في القراءات العشر"، فكان الاحتجاج للقراءات باباً واسعاً لخدمة اللُّغة العربية، وتقوية بعض وجوهها. وقد عرف النحويون هذا الاحتجاج منذ بداية التأليف في علوم العربية.
ومن ثم تعد القراءات من أرقى الدراسات التطبيقية في اللغة العربية، حيث تمثل اللحمة القوية بين علوم العربية، وعلوم القرآن من خلال اعتماد التحليل، والإعراب، وذكر النظائر، وتخريج ما في القراءات على كلام العرب. و مما يتّصل بموضوع الاحتجاج للقراءات : إعراب القرآن وهو أمر جذب أنظار اللغويين، فألفوا مصنفات عدّة في إعرابه .
6- كما أن الأساس المسيطر على الحدث اللغوي نحويّ ، وهذه القضية استوعبها عبد القاهر
الجرجاني (ت 471 هـ) فقدّم كتابيه: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة . الأول منهما يعدّ أهمَّ كتاب في العربية تناول دراسة التراكيب اللغوية. والثاني لبيان أن الاستعارة ، والكناية والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النحو. لهذا عدّ عبد

القاهر الجرجاني "أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعملَ قوانينه ، وأصُوله، وتعرف مَنهجه التي نُهجت عنه، فلا تزيغ عنها" [33].
ويظل النحو مسيطرا على الحدث اللغوي فهو الذي يصنع اللطائف، والصور الجميلة لأنه لا يُتصوّر أن يدخل شيءٌ منها في الكلم وهي أفراد لم يتوفّر فيما بينها حكمٌ من أحكام النحو، فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم دخلته الاستعارة دون أن يكون قد ألّف مع غيره [34]. وبهذا تبرز

إشكالية النظم في التقاطع بين النحو، والبلاغة ، فلا توخي للمعنى إلا من خلال النحو كما أن البلاغة إنما وُلدت لتبينَ عن الإعجاز ، صورته في " العلاقة الرابطة بين اللفظ والمعنى، واللغة والفكر، بأنها علاقة عضوية قائمة يمكن إدراكها بالفكر، والذوق [35]. وهذا ما قصده أحمد العلوي بقوله : " إن الدرس اللغوي تجمعه وحدة النظم بحيث أن مسائل علم البيان لا تنفصل عن مسائل علم المعاني"[36]. وكل هذه الشواهد تكشف مدى سيطرة النحو على الحدث اللغوي كله، ومن ورائه تأتي كل لطيفة.

رابعاً ـ مسالك عبور المفاهيم والمصطلحات:

إن مصطلح "الأصول" قديم في تراثنا الثقافي ظهر في بيئة الفقهاء قبل بيئة النحاة التي عرفته في القرن الرابع الهجري . والمشهور أن هذه العبارة استعملت للدلالة على مجموعة مصادر التشريع الإسلامي، وكيفية استقراء نصوصها واستنباط الأحكام منها، ومشروعية العمل بها، وبهذا يتبيّن لنا أنها تدل عند الفقهاء على "منهج" أكثر من دلالتها على نصوص أحكام. فالفقيه عندما يحدثك عن الأصول إنما يحدثك عن النصوص، وأولية أحدهما عن الآخر، فهي المنهجية التي بمقتضاها يكون استنباط الأحكام الشرعية [37].

والمقابلة التي أجراها ابن الأنباري بين أصول النحو ، وأصول الفقه استعان فيها بما هو شائع في أصول الفقه لتوضيح تعريفه لأصول النحو، حيث يقول " أصول النحو أدلة النحو التي تفرّعت عنه منها فروعه وفصوله، كما أن أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله. وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل والارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدليل، فإن المخلد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب، ولا ينفك في أكثر الأمر عن عوارض من الشك والارتياب" [38].

كما استمد النحاة من علم التوحيد، وهو أسمى علومهم، بعض مصطلحاتهم، فسموا المؤثر عاملا، والأثر الحاصل معمولا. وانتهوا إلى قرار يقضي أن لا حركة إعرابية من دون عامل، ولا عامل من دون معمول له [39] .

وحَال نشوء الخلاف النحوي مشابه لحال نشوء الخلاف الفقهي، وهذا ما دعا أبا البركات بن الأنباري، ليقول في خطبة كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: "فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين، والأدباء المتفيقهين، المشتغلين بعلم العربية، بالمدرسة النظامية، عمَرَ الله مبانيها، سألوني أن ألخص لهم كتابا لطيفا، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويّ البصرة والكوفة، على

ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة؛ ليكون أول كتاب صُنِّف في علم العربية على هذا الترتيب، وألِّف على هذا الأسلوب" وكأن عمل ابن الأنباري، وإن كان في النحو، إلا أنه تقليد لكتب الفقه، التي عُنِيت بالمسائل الخلافية، ولعلنا نلحظ استخدامه لهذه الألفاظ: الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفيقهين، ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة، فهذا يدلنا على وقوفه على الخلاف الفقهي، وخاصة أن بعض تلاميذه المشتغلين عليه بعلم العربية فقهاء كما ذكر هو (40).

ومن الواضح أن أسماء هذه الكتب تحمل اسم كتاب الإنصاف الذي اختاره ابن الأنباري ليكون اسم كتابه

في الخلاف النحوي، مما يقوي تلك العلاقة بين النشأتين، وعلى إفادة أبي البركات بن الأنباري من منهج ذلك العلم. وهناك نحاة لم يكونوا فقط مشتغلين بعلم العربية، بل كان أكثرهم يعرف علوما أخرى، كالفقه، والمنطق، والفلسفة (41).

ويتضح تأثير أصول الفقه في أصول النحو " في المصطلحات النحوية المأخوذة من القرآن الكريم وفي الأقوال المذكورة لبعض أعلام النحو، ناهيك عن أن العلاقة بين علم النحو، وعلم أصول الفقه وثيقة الصلة بينهما وبين غيرهما من العلوم والفنون مثل علوم الكلام ،واللغة، والحديث، والقراءات. ويذهب إلى أن القياس في الإعراب أو في مسائل العلل هو نفسه القياس في أصول الفقه (42).

ومن المصطلحات الفقهية التي نقلها النحاة من علماء أصول الفقه، نجد مثلا: النسخ، وهو مصطلح مستمد من القرآن الكريم **{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}** [البقرة: 106]. بالإضافة إلى مصطلحات أخرى نجدها في النحو العربي، مثل التعليق، والكناية، والابتداء.. (43).

ويرى أحمد علوي أن البحث في المساطر العقلانية للنحو العربي يؤخذ من تجاورات اللغويات العربية لممارسات معرفية أخرى، فالعلوم فيما بينها بعضها يحدّد الذي تحته والبعض الآخر يتحدد بالذي فوقه، فالبرنامج النحوي يعد تنفيذا لإحدى البرامج في تلك الخطابات: أصولا أو فقها أو كلاما... فجاء النحو تنفيذا لبرنامج الدراسات الكلامية ، أو لما يجب أن يسمى "بعلم اللغة العام" توحيدا لأسماء ذات معنى واحد، وأن البلاغة شهدت تنفيذين أحدهما معتزلي، والآخر أشعري، وأن الأشعرية تختلف من جهة إنجاز البرنامج عن التوليدية الأفلاطونية بتحريم تصوير الباطن النفسي" (44).

ومن أمثلة تقاطع علوم اللسان العربي وعلوم الحديث، ما فعله الأزهري في كتابه "تهذيب اللغة" ؛ إنه لما وجد تطابقاً بين اللغة والسنة النبوية نقل جزءا من برنامج المحدثين إلى اللغة " كي يصل إلى أن اللغة المنقولة بالتواتر طبقة عن طبقة تكون في أعلى درجة القبولية"(45) .

والجدير بالذكر أن المؤرخين المشتغلين بالحديث سبقوا إلى استعمال مصطلح كلمة "معجم"، فوضع أبو يعلى أحمد بن المثنى(210 - 307هـ) كتابه " معجم الصحابة" وكذلك صنع البغوي المُحَدِّث أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز(ت 215 هـ) في كتابيه: "المعجم الكبير" ، و"المعجم الصغير". وبالبحث تبيّن أن هذا المصطلح وصل إلينا من رجال الحديث وأنهم كانوا الأسبق في استعمال هذه الكلمة

بالمعنى الشائع اليوم. والإمام البخاري قد كتب في صحيحه باب تسمية من سمى من أهل بدر على حروف المعجم [46].

إن القراءة الابستمولوجية تقتضي أن يقدّم العلم من الميدان الذي نشأ فيه ثم ينظر كيف كان مستعملا فيما نقل إليه، ولهذا يمكن أن يقال إن السماع المستعمل لدى المهتمين بعلم اللغة قد تحدّد أولا في علمي الحديث، وأصول الفقه و لا يعني هذا أن تتبع أطواره في العلوم الثلاثة لأنه يهمنا استعماله في أصول الفقه، ثم كيف ينبغي أن يُستعمل حتى يلائم موضوع العلم [47]. أما القياس فهو شيء واحد في أصول الفقه وعلم اللسان ومن ثم كان تقديمه في الميدان الذي نشأ فيه أوضح لدى الأصوليين، وأصلية أصله آتية من سبق حصول المعرفة به .فإذا صح أن الجزئي نوعه مجموع في شخصه، وكانت المعرفة قد حصلت أولا بعين وهي مقترنة بعلة تعلّق حكمُها بها صارت تلك العين أصلا، وسائر الأعيان المشاركة لها في تلك العلة فروعا. لأن حكمها مكتسب بتعدية حكم الأصل إليها[48].

ومن ثم تكون طرائق استنباط العلة عند الأصوليين واللغويين فهي واحدة من جهة الأصل القاعدي ؛ فإذا كانت "العلة" عند الأصوليين، تستخلص من النص، أو عن طريق الاستنباط، فإنها عند النحاة مستنبطة كلها. ذلك أن النحاة يقررون أن العاملية كما يرى أحمد العلوي في الطبيعة والتمثال: "سبق سابق عن اللغة ينظمها ويفسرها، وأنه قائم فيها حين تتحقق في جمل وعبارات. وإن العاملية عندهم هي قانون وجود اللغة" [49]. وبهذا استعمل الأصل مرادفا للقانون ، وتعليق الرضي على كلام ابن حاجب في أصول التصريف يتبيّن من ذلك في قوله" التصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلام التي ليست بإعراب" [50]. وهكذا تنكشف طريقة عبور المفاهيم والمصطلحات من علم إلى آخر أشبه بمعادلة أهل الرياضيات التي يتوسل فيها الرياضي تحويل المجاهيل إلى معاليم ، وهذا ما يسعى البحث إلى استدراكه.

خامسا: المصنفات العربية ومبدأ التقاطع المعرفي:

إن قراءة سريعة في جملة من الكتب العربية تكشف ، أن ثقافة علماء العربية ثقافة موسوعية، وكتاباتهم تستبعد التعليلات الأحادية، وتعتمد منظومة متكاملة بروابط لغوية، وموضوعية، ودلالية تتقاطع فيها أسس صوتية، وصرفية، ونحوية، ومعجمية ، ترتقي إلى مستوى أعلى كالدلالة، والأسلوب والتداول وهذا ما نشتغل عليه لتحليل آليات التداخل التي تظهر في المصنفات الآتية: الكتاب لسيبويه(ت 180 هـ)، معاني القراء للفراء (ت 207 ه)، ومعاني القرآن للأخفش (ت 215 ه)، و مشكل تأويل القرآن لابن قتيبة(276 ه). ومفتاح العلوم للسكاكي(ت 636 ه). وتتلخص كالآتي:

1 - إن هذه المصنفات تحتفي بالقول الكلي، ويمتزج فيها المؤشر اللغوي وغير اللغوي الذي يمكن أن يوصف بأنه اتّجاه يدرس اللغة في السياق التواصلي ، ويبتعد عن النسق المغلق الذي نعثر عليه في بنيوية الحداثة الغربية. وهو ما أثاره سيبويه في أقسام الكلام في الكتاب، وتتضح هذه الصورة في التركيبين الآتيين:

ـــ قد زيداً رأيت.

ـــ كي زيدٌ يأتيك.
فالجملتان لا تنتميان إلى جمل اللغة العربية، وذلك لأن ترتيب عناصرهما لا يخضع للترتيب الأساسي المعتمد في اللغة العربية.

ومعنى هذا أن العناصر الدلالية ليست كلمات ، وإنما هي مفاهيم دلالية، وبخاصة عندما نصطدم

ببعض التراكيب الصحيحة نحويا ولكنها غير مستقيمة دلاليا ، ومن أشهر هذه الجمل الأكثر تداولا في البحث اللغوي المعاصر:" الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام في غضب ". وهي جملة صحيحة من الناحية النحوية والصوتية ومع ذلك فهي بلا معنى (51). وهو ما أثاره سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، من مثل: حملت الجبل، وشربت ماء البحر(52) . وحين ذكر التوليديون أمثال هذه النماذج من جملة الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام في غضب، ظهرت لأول وهلة وكأنها نظرية جديدة، في الوقت الذي هي امتدادات لرؤى قديمة.

2 ـ إن كتب تفسير القرآن مثل معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة، تؤكد أن المسألة اللغوية ظاهرة مركبة تتطلب استثمار طاقات النص كافة، وامتدادات مستوياته، ومن وراء ذلك استعمال العرب ، وموقع الكلمة في التركيب، وتداولها بالتفسير المقبول. كما ينتظم فيها البعد المعرفي ، والبعد اللغوي، والبعد التواصلي، والبعد الجمالي، و يستحضر المقصد من قراءة القرآن القائمة على احترام خصوصياته.

ورؤية ابن قتيبة للغة نجدها تقوم على نظرة شمولية تتوخى وجوه الإعجاز، ونُكت البلاغة، وأساليب العرب، وتقليب وجهات النظر البلاغية بصورة حيّة جعلت من تفسيره غنياً بمفردات التحليل التداولي؛ فهو يدرس اللغة في الاستعمال، ويحيل على المتكلم وحتى على مفهوم القاعدة ؛ وهو ما يفسره الاستعمال من خلال إبرازه للفوارق بين حال وحال، وبين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين، وجانب المتكلم والسياق ، باعتبار أن أي لسانيات هي بالضرورة تداولية، كما يقول "فيليب بلاشيه" في كتابه التداولية من "أوستين" إلى "هوفمان".

وهكذا اطَّلع ابن قتيبة على ألسنة الأمم الأخرى فوجد أن ألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفا... فهذا حال العرب في مباني ألفاظها (53) . والإعراب عند ابن قتيبة " جعله الله وشْياً لكلامها، وحِلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يُفرقُ بينهما، إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكلِّ واحد منهما إلا بالإعراب، ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي ـ بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة، لدلّ التنوين على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قتله (54). إلى غير ذلك من القضايا حين يفرقون بحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين ، فيقولون: "رجُلٌ سُبَّةٌ" إذا كان يسبه الناسُ، وإن كان هو يسبُّ الناس، قالوا : رجل سُبَبَةٌ. وقد يفرقُون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين، كتقارب بين المعنيين كقولهم: للماء الملح الذي لا يشرب إلا عند الضرورة "شَروب" ولما كان دونه مما قد يتجوّزُ به "شَريب". وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع "قبصٌ"، وبالكف "قبضٌ"، وللأكل بأطراف الأسنان "قضْمٌ"، وبالفم "خَضْمٌ". وللنار إذا طفئت

"هامدة"، فإن سكن اللّهب وبقي من جمرها شيء فهي "خامدة" (55). وقد يكتنف الشيء معان فيشتقّ لكل معنى منها اسم ذلك الشيء، كاشتقاقهم من البطن للخميص "مُبْطِنٌ" (56). وبهذا يكون للعربية علم الإعراب، وعلم الصرف، وللعرب الشِّعرُ مستودع علومهم ، وحافظ آدابهم، ومقيّد أنسابهم، وديوان أخبارهم . وللعرب عَروض الشعر ؛ حرسه بالوزن والقوافي، وحُسن النظم. وللعرب "المجازات " في الكلام، ومعناها : طرق القول ، ومآخذه، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص. وبكل هذه المذاهب نزل القرآن (57).

و يعرض إلى قضية لها أهميتها تكشف مدى وعي ابن قتيبة بخبايا الدلالة في خريطة التداول كما يظهر في عرضه لترجمة القرآن بالتفسير المقبول، ومستويات الدلالة في إشارة إلى صورة من صوّر حُجُب الاستعمال التداولي التي أدركها ابن قتيبة ؛ وتتمثل في ترجمة القرآن ، فيقول: لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الأسئلة ، كما نقل الإنجيلُ من السريالية إلى الحبشية، والرُّومية، وترجمت التوراةُ ، والزابور وسائر كتب الله بالعربية؛ لأن "العجم" لم تتّسع في المجاز اتساع العرب. ففي قوله تعالى: **{فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا}** [الكهف: 11]. إن أردت أن تنقله بلفظه، لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أَنَمْنَاهُم سنين عدداً، لكُنت مترجماً للمعنى دون اللفظ(58). ويأتي إلى القراءات القرآنية ليعتمدها ابن قتيبة للاستدلال بالقراءة على تفسيرها غيرها، كأن يعرض لقوله تعالى **{وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}** [يوسف: 45] فيقول: فابن عباس يقرأ (وادّكر بعد أَمَة) ، وغيره يقرأ " بَعْدَ أُمَّةٍ " (59).

3 - وإلى جانب توافر التقاطع المعرفي الذي ازدانت به المصنفات المذكورة في مجموعة علوم متكاملة انتضمت عند السكاكي في نسق واحد(60) ، حيث يجعل كتابه " مفتاح العلوم" في ثلاثة أقسام: القسم الأول في علم الصرف، و القسم الثاني في علم النحو، والقسم الثالث في علم المعاني والبيان. ويبرز جانب النسق والضبط في وضع علم الصرف قبل علم النحو، ويقدّم علم المعاني على البيان لصلته بالنحو، وهذا الربط دليل على التحام هذه العلوم في إنجاز الخطاب، وهو ما اقترحه ابن جني لمن أراد أن يعلّم هذا العلم فقال: "وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد أن يعلّم النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة" (61). كما يبرز الجانب الصوتي في كتابه مفتاح العلوم ؛ فقد قدّم رسما تشريحيا للّسان ووضع عليه مخارج الحروف. أما عنايته بعلوم البلاغة فتبرز لك في تقليب النظر في أساليب الخطاب، وفي صلتها بمقاصد صاحب الخطاب والمخاطبين المتلقيين الخطاب وسياقات التخاطب في تقاطعها مع سياقات الفهم.

إن هذا التقاطع يفرضه الوعي بوحدة الخطاب ، ويفرضه النظام اللغوي لما يمتاز به من اتساق، أي

الترابط الشكلي، وانسجام الترابط المعنوي أو المؤشر المتضمن في القول، وهو ما يبرز في تعالق المستويات. وهو ما تفرضه لسانيات التلفظ في أن مجموعة من الأشكال النحوية، ومن مفردات المعجم
ومن الصيغ والتراكيب سمتها الاعتيادية تُسهم في إنشاء علاقات مخصوصة بين المتخاطبين [62]. إنه سير على نهج تراتبي عبّده الأوائل. مما يؤكد أن الطرح الفلسفي في اللغة كالطرح الحديث في علوم اللسان كلاهما يحتضن الظاهرة اللغوية في شمولها الكامل خارج سياق الألسنة النوعية[63].

وهو ما جرى عليه العرف في دراسة اللغة سواء كان المنهج وصفياً، أو تاريخيا، فهي تندرج في أربعة مستويات، وإن كانت الحدود بينها غير واضحة تماماً ومتشابكة، فأصوات اللغة مثلا تتأثر كثيرا بالصيغ، والعكس كذلك صحيح، والصوت والصيغة كلاهما يتأثران ـ غالبا ـ بالمعنى. كذلك يوجد تبادل مطرد بين الصرف والنحو كما الحال بالنسبة لبعض اللغات حين تستعمل واحداً منهما وتستغني عن الآخر. ولهذا فإن الصرف، والنحو كثيراً ما يجتمعان تحت اسم واحد هو التركيب القواعدي [64].

إنها محاورة من خلال المصنفات تُسائل المتناهي في الكبر من الدرس العربي ، تشهد بما تهمله القراءة السريعة أو تغض طرفها عنه.

سادسا ـ ثمرة التحديدات في نظرية المعرفة الحديثة:

إن هذا الطرح ضروري لما ينهجه البحث من ميل إلى التحديدات التي تقتضيها المعرفة الإبستمولوجية فيعرض إلى مفهوم التقاطع المعرفي في نظرية المعرفة الحديثة ، و نستطيع من خلاله بناء لسانيات عربية أصيلة وحديثة، وهذا "يعني أن النظرية عالم تمثيلي ممكن تبنى إلى جانبه عوالم تمثيلية أخرى تقوم على حجج مغايرة، ومنظور مختلف[65]"، كأن نقول إن عبد القاهر "يتعامل مع النحو على المستوى السّطحي، والمستوى العميق، وهو نفس منهج من ينتمون إلى نظرية النحو التّوليدي"[66]. وهذه العلاقات بنمطيتها وانحرافها هي التي شَغلتْ "تشومسكي " في فكرة النحويّ، ومحاولة استكشاف ديناميَّتها على نمط الأساليب الرياضية، التي يُنظر في كل عنصر منها على حسب علاقته بالعنصر الذي يسبقه [67].
وهذا ما يبرز في النظرية الخليلية القائمة على الجانب الرياضي، حيث ترى خولة طالب الإبراهيمي أن الجانب المهم في ذلك هو تحليل الحاج صالح لعلم التركيب، فقد حاول أن يُخرج النظام اللغوي على شكل قواعد لغوية رياضية واعتمد في ذلك على الرياضيات الحديثة [68] . أو إسقاط رؤى حاسوبية على أنظمة العربية مثلما نجد عند نهاد الموسى في كتابه العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية.

كما يبرز في تشعب المباحث الأسلوبية في العربية فهي "كثيرة في عددها، متشعبة في أصولها، متباينة في نظرتها، تلتقي حيناً وتختلف ثانيا، وتتقاطع ثالثا، وتأتي بين الدرس النقدي والدرس الأدبي رابعاً. و لو لم يكن الأسلوب مسألة قائمة بذاتها، لما لاحظنا في التحليلات ، والدراسات الأكاديمية للنصوص الأدبية، وفي النظريات النقدية المتعددة لتلك النصوص على اختلاف أجناسها ملاحظات جوهرية تعالج حقيقة الظاهرة الأسلوبية بعمق أو تمسها مساً رقيقا بقصد إجلاء طبيعتها" [69].

فجاءت المحاولات فيها للجمع بين تلك الأسس في إطار واحد تنضوي تحته الظواهر الأسلوبية كلها للربط بين الدرس الأسلوبي، والدرس اللساني (70). وعدّ بعضهم أن الأسلوب واحداً من أبرز الظواهر اللغوية والأدبية المدروسة من زوايا متعددة على الرغم من تعادلها في الإشكالية والاختلاف(71). ومع التطور الذي عرفه الدرس اللساني نتيجة التراكم المعرفي : أدخل (لسانيات النص) و(الأسلوبية) في دائرة التنافس بوصفهما مصطلحين متنافسين (72).

وأخيرا يأتي المنظور الأحدث الذي يربط بين الأسلوب والحالة الاجتماعية للمنتج اللغوي، ويستبعد بقاء الأسلوب بمنأى من التأثر بنتائج اللسانيات الاجتماعية الحديثة التي تدرس العلاقة الوثيقة بين الأثر اللغوي، والظروف الاجتماعية التي ولد فيها هذا الأثر. وهذا ما يعيد إلى الأذهان الحكم المشهور لـ"سوفستين بروتاجوراس" بأن الإنسان هو مقياس الأشياء كلها وأن ما يكتبه أو يتحدث به هو من صنعه وسبيل إلى الحكم عليه ودراسته في إطار علم اللغة بشكل عام(73).

وهو ما جعل مستويات نحو الجملة ، ولسانيات النص، واللسانيات الاجتماعية قادرة على تصوير المساحة الواسعة لاتجاهات البحث اللساني من منظور أسلوبي (74). كما يؤكد أن الأسلوب الشعري لا يفهم في جانب منه إلا بالأسلوب اللغوي، واللساني يحتاج فيه إلى تفسير تكميلي يقدّمه علماء الأدب لكي يتمكن من فهم هذا الأسلوب بكامله (75).

وحين نضع التراكم المعرفي في الحسبان يظهر التقاطع المعرفي في أمر لا يمكن تجاهله ، وهو التأثير الهائل للحاسوب على واسعة من الحقول اللغوية فللغويات الحاسوبية علاقة مباشرة بعمل الأسلوبيين، ونقاد النصوص، والمترجمين، وصناعة المعاجم، ومعلمي اللغات(76). وكل هذه المسائل تدخل فيما يسمى بالتقاطع المعرفي . وبهذا تكون مقولة ابن خلدون "إن الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف" (77) قريبة من هذه التقاطعات التي تسمح بوصف عبور المفاهيم وآليات التحليل والاستدلال من علم إلى آخر.

نتائج الدراسة:

إن قراءة سريعة في اللسانيات العربية تبرز التداخل الذي يحصل بين العلوم الأصلية التراثية بعضها ببعض، وبين هذه العلوم وغيرها من العلوم المنقولة ، إلى حد يصل فيه النظر في الأصوليات من جهة التداخل المعرفي الداخلي لا يمنع من النظر فيها من جهة التداخل الخارجي.

وهو ما يؤكد مقولة أن التداخل تداخلان : أحدهما داخلي يقبل الاندماج في جملة مخصوصة من العلوم دون غيرها ، والثاني خارجي قابل للاندماج في أي علم من العلوم .

لقد بسط هذا الطرح جملة من التحديدات تقتضيها المعرفة العلومية أي الإبستمولوجية فأبرز النقاط الآتية:

1- مفهوم التقاطع المعرفي في اللسانيات العربية في نظرية المعرفة الحديثة ، ومواصفات هذا التقاطع تكشف أن العلوم متعلق بعضها ببعض، ومحتاج بعضها إلى

بعض، وبعضها طريق إلى بعض. وهو إقرار بمشروعية تفاعل العلوم بعضها ببعض، وامتزاج مصطلحات العلم الواحد بمصطلحات غيره من العلوم اختلطت فيها التصورات الفلسفية بالمفاهيم الكلامية، وامتزجت فيها مصطلحات الجدل بمصطلحات جل العلوم الإسلامية مثل الفقه، وعلم الكلام، والنحو، والبلاغة .

2 ـ لقد أوجد هذا التقاطع نهجا تراتبيا عبّده الأوائل، وتفاعلا في الممارسة اللسانية العربية، وأثمر عملا موسوعيا يأخذ بمجامع علوم كثيرة، فرضتها النشأة المشتركة لعلوم العربية، واحتاجت إليها النزعة التكاملية من تقارب العلوم ، وتشابهها، في عملية دمج تتم بين علوم كثيرة تخدم العلوم فيها بعضها بعض في التدليل ، والاحتجاج، والتناسب ، والاشتراك، وقد يجاب عن بعض بجواب بعض.

3 ـ وتأتي الضرورة العلمية لتؤكد أن اللسانيات المعاصرة يمكنها أن تتجنب التساؤل عن حدود استقلال مستويات الدرس اللساني ، في مجموعة من الأشكال النحوية ، ومن مفردات المعجم، ومن الصيغ والتراكيب، سِمَتُها الاعتيادية أننا باستعمالها نُنشئ أو نُسهم في إنشاء علاقات مخصوصة بين المتخاطبين على حدّ تعبير "ديكرو" وهو ما يظهر في التداخل القائم بين الصوت، والصرف، والنحو ، والمعجم، وفي ربط هذه العلوم بالأدب على حد ما ذهب إليه ابن خلدون ، وما التقسيمات الموسومة بمستويات التحليل إنما هي لدواع علمية صرفة تنطوي على أبعاد دلالية غير متناهية في مجال التأليف، ومحمولات معرفية تشكل وحدة تواصلية مما يجعل الأسلوب الشعري لا يفهم في جانب منه إلا بالأسلوب اللغوي.

4 - إن هذا التقاطع لم يكتف بالجانب الإجرائي الذي يقبل الاندماج في جملة مخصوصة من العلوم دون غيرها وإنما قد يتوسع للاندماج في أي علم من العلوم كما يظهر في علاقة اللسانيات الحاسوبية بعمل الأسلوبيين، ومعلمي اللغات، وصناعة المعجم، واستخدام الحاسوب في الترجمة، واسترجاع معلومات من قواعد بيانات كبيرة عن طريق أنظمة معالجة النصوص.

هوامش الدراسة :

1 ـ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، دار موفم للنشر ـ الجزائر، 2007،ص: 21 .

2 ـ فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي ، الدار العربية للكتاب، 1985. ص:38 .

3 يُنظر حوار لنعوم تشومسكي، مصطفى عبد الله، دبي الثقافية ، السنة التاسعة ،العدد 93، شهر فبراير 2013، ص: 33.

4 ـ محمد الأوزاعي، حوار له في كتاب أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حافظ إسماعيلي، وليد أحمد العناتي، دار الأمان الرباط، منشورا الاختلاف ـ الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2009 ، ص: 180 .

5 ـ أبو يعرب المرزوقي، الإبستمولوجيا البديل مراس العلم وفقهه، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1 ، 1428 هـ/2007 م، ص: 158 .

6 ـ حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، ط1، 2009. ص: 22.

7 ـ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2 ، 1982 ، ص: 133 ، 134 .

8 ـ ن، ي كولنج ، الموسوعة اللغوية، ترجمة : محي الدين حميدي/ عبد الله الحميدان، النشر العلمي والمطابع ، المملكة العربية السعودية، 1421 هـ/1998 م، ص: 613 .
9 ـ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2، موفم للنشر، 2007 ، ص:80 ، وما بعدها .
10- عبد الرحمن الحاج صالح، حوار له ، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حافظ إسماعيلي، وليد العناتي، ص:85 .
11 ـ إسماعيلي علوي /امحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات. ، منشورات الاختلاف، ط1، 2009، ص:.148.
12- محمد الأوزاعي ، حوار له، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حافظ إسماعيلي، وليد العناني. منشوزات الاختلاف. 2009، ص: .170.
13 ـ عبد العال سالم مكرم، أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، مؤسسة علي جراح الصباح، 1968 ، ص: 55 .
14 ـ حسين السوداني، لماذا عمّرت "العربية" ومات غيرها؟، مجلة العربي، العدد 710 ، يناير 2018، ص:92 ــ 98 .
15 ـ اشهرها تصانيف الفارابي في إحصاء العلوم ، وإخوان الصفا في الرسائل، وابن سينا في أقسام العلوم العقلية، والخوارزمي في مفاتيح العلوم ، وابن النديم في الفهرست، وابن حزم في مراتب العلوم، والأبيوري في طبقات العلوم، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، وابن خلدون في المقدّمة، وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة، وحاجي خليفة في كشف الظنون، والتهناوي في كشاف إصطلاحات الفنون. طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، د.ت، ص: .89
16 ـ ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل/ وأحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2007، ج1، ص:63 .
17 ـ ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص: 93 .
18 ـ طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، د.ت، ص: 89 ، 90 .
19 ـ محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت، ص: 70 .
20 ـ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص: 89 ، 90 ، 93.
21 ـ نفسه ، ص:90 .
22 ـ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج1 ،الكتاب الأول، ص:18 .
23 ـ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص: 78 .
24 ـ سيبويه، الكتاب ، تحقيق وشرح :عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3. 1988، ص:
431، 432 .
25 ـ حسن خميس الملخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2001 ، ص: 12 .
26 ـ محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشائع، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، مكتبة العبدكان، الرياض، ط1، 1993 ، ص: 5 ـ 9 .
27 ـ نفسه، ص:5 .
28 ـ محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار للنشر، عمان ـ الأردن، ط2 ،2000 ، ص:33 ، 44 .

29 ـ نفسه، ص: 22 ـ 26 . و " الفصل" عند البصريين بمنزلة العِماد عند الكوفيين كقوله تعالى : (إن كَانَ هَذَا هُوَ اَلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) [الأنفال: 32] فقوله: هُوَ فصل أو عِماد.
30 ـ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، ج2 ، علم الكتب بيروت، د.ت ، ص: 96 .
31ـ محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن ، ص: 13 ، 14 .
32 ـ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المقدّمة الثامنة، ج1 ، ص: 84 ، الدار التونسية للنشر، تونس 1984 .
33 ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه : أبو فهر/ محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط1، 1991، ص:71 .
34 ـ نفسه ،ص:393 .
35 ـ وليد مراد، نظرية النظم، وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر،
ط1 ، 1983 ، ص: 6 .
36 ـ حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات ، ناشرون، ط1، 2009 ، ص: 228 ، 229 .
37ـ محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ـ عين مليلة. (د.ت). ص:.4
38 ـ ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة، تقديم وتحقيق سعيد الأفغاني. مطبعة الجامعة السورية 1957. ص: 80.
39 ـ محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، ص:79.
40 ـ جودة مبروك محمد، الدرس النحوي عند ابن الأنباري، مكتبة الآداب القاهرة 2002، ص: 70، 71.
41 ـ نفسه ، ص: 70، 71.
42 ـ السعيد شنوقة، في أصول النحو العربي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 2008. ص: 13.
43 ـ نفسه ، ص: 18، 19، 20، 21.
44 ـ حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص: 36 وما بعدها بتصرف.
45 ـ محمد الأوزاعي، اكتساب اللغة في الفكر اللغوي القديم، دار الكلام للنشر والتوزيع، د.ت. ص 184، 185 .
46 ـ البدراوي زهران، المعجم العربي تطوّرٌ وتاريخ في ضوء نظريات علم الدلالة لدى المحدثين، ط1 ، 2009 ، ص: 18، 19، 20.
47 ـ محمد الأوزاعي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، دار الكلام للنشر، د.ت، ،ص: 175 .
48 ـ نفسه، ص:189 ، 190 .
49 ـ حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات ، ص:43.
50 ـ محمد الأوزاعي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، ص:191 .
51 ـ جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1985. ص:184 .
52 ـ سيبويه، الكتاب، ج4 ، ص:.431
53ـ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ/ 1973 م، ص: 14 .
54 ـ نفسه ، ص: 14 .
55 ـ نفسه ، ص:16 .
56 ـ نفسه ، ص: 17 .

57 ـ نفسه ، ص: 19 ، 20 .
58 ـ نفسه ، ص: 21 .
59 ـ نفسه ، ص: 24 .
60 ـ السكاكي. مفتاح العلوم، المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي، مصر، د.ت، ص:3 .
61 ـ ابن جني، المُنصف في التصريف، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل/ أحمد رشدي شحاتة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2007 ، ج1، ص:4 .
62 ـ أوزفالد ديكرو، التلفظ، من كتاب: لسانيات الخطاب، الأسلوبية، والتلفظ، والتداولية، صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2010 ، ص:24 .
63 ـ عبد السلام المسدي، فضاء التأويل،كتاب دبي الثقافية 68 ، سبتمبر 2012 ، ص: 293 .
64 ـ ماريو باي، أسس اللغة، ترجمة مختار أحمد عمر، عالم الكتب، ط8 ، 1998، ص44 ، 45.
65 ـ حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، ص: 57 .
66 ـ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية لونجمان، 1994 ، ص: 55.
67 ـ نفسه ، ص: 214.
68 ـ مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس ،1988 ، ص:425، 426.
69 ـ فيلي ساندريس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة ، دار الفكر دمشق، ط1، 2003 ، ص: 11 .
70 ـ نفسه ، ص: 12 .
71 ـ نفسه ، ص:18 .
72 ـ نفسه ، ص: 22 .
73 ـ نفسه، ص: 22 .
74 ـ نفسه ، ص: 23 .
75ـ نفسه ، ص: 23 .
76 ـ ن.ي. كولنج. الموسوعة اللغوية، المجلد الثاني، ترجمة: محي الدين حميدي/ عبد الله الحميدان. النشر العلمي والمطابع، 1421 هـ 1998 ، ص:660 .
77ـ ابن خلدون ، المقدّمة ، دار القلم ، بيروت، 1984 ، ص: 554 .